الفصل الأول

١ ـ حاجة العَالَم إلى ثقافة روحية.

٢ ـ مهمة الدين.

٣ ـ الحياة الروحية عند مختلف المذاهب والأديان السماوية.

obeikandl.com

obeikandl.com

١ ـ العالم بحاجة إلى ثقافة روحية

«والعالم اليوم بحاجة إلى ثقافة روحية. هذا العالم المادي الذي كان تحت تأثير اعتقاد جازم بأنه بتقدمه المادي المطرد قد بلغ مرتبة الكمال، ولكن أحداث الثلاثين عاماً الأخيرة قد بدلت هذا الاعتقاد»(١).

نعم، يحتاج العالم إلى ثقافة روحية، يضيفها إلى ثقافته المادية، حتى يتم له كمال التقدم والرقي في مضمار الحضارة الإنسانية، لأن بالتقدم المادي الذي وصل إليه العالم، كان يظن أنه سيؤمن له المخترعات المتنوعة، ويحقق له مختلف العلوم والفنون، يضعها بين يدي الإنسان، وتحت خدمته، ليجلب له السعادة الفعلية التي يرجوها، بينما التجارب العملية والبراهين الواقعية، أثبتت عكس الأمل، فكانت سعادة المادة المرجوة تعاسة على الشعوب وعمرانها، وخراباً للمدن، وتوفيرها لأسباب الحياة دماراً وقتلاً وإبادة بمئات الألوف.

ومنذ أن حدث الإنقلاب الصناعي في أوربا، وَاخْتُرِعَ البخارُ، والعجلة، والكهرباء، وازدادت المخترعات يوماً بعد يوم ، وتطورت العلوم والنظريات، واكتشف الإنسان أبحاثاً علمية، وحققها عملياً، ومَخَرَ عُبَابَ البحارِ بغواصاته ومدمراته، وطوى فيافي الصحارى، بانطلاقه في أجواء الفضاء. كل ذلك والإنسان يعيش على الأمل المنشود، في تحقيق السعادة لبني الإنسان بدأ يجر للبشرية المصائب والعذاب والدمار والخراب.

نعم إن التقدم العملي قد قدم للإنسان وسائل مريحة وسهلة الاستعمال.

---

(١) روح الدين الإسلامي . ص : / ١١٣ / عفيف طبارة.

ليستخدمها في شؤون حياته ويتمتع بفائدتها، ويجني من ورائها كل خير، ولو بقي الأمر كذلك لكان هذا التقدم من النعم الجليلة التي منحها الله تعالى لبني الإنسان.

وياحبذا لو تطور أكثر فأكثر في صالح البشر والخدمة الإنسانية وحسب.

ولكن هذه السعادة المادية، هي سعادة أفراد قلائل، سعادة جماعات وشعوب قليلة العدد، ولم تكن سعادة البشر جميعاً. والمهم في كل شيء أن يحقق الخير والنفع للجميع، ويبعد عنهم كل سوء أو أذى.

ففي نفس الوقت الذي يقدم العالَم المادي للإنسان سيارةً فخمة ليركبها، متهادياً عليها فوق سطح الأرض. أو يقدم له طائرة نفاثة، تطوي المسافات البعيدة بشكل غريب. يستدعي الدهشة، تجده يُنزل على رؤوس الآمنين من نساء وأطفال وشيوخ: قنابله الذرية المدمرة المحرقة، التي لا تبقي أحداً في مدينة، ولا تذر الحيوانات والمزارع البعيدة، وتلوث الهواء والماء بغبارها الذري.

وأي تقدم مادي نحو الكمال في تلك المعاملة التي يلاقيها السود من البيض في أمريكا وأفريقيا، وبكم تقدر الثمرات والنتائج التي حصلت عليها الجزائر من سعادتها، من الاستعمار الفرنسي سابقاً.

ومن يتحمل مسؤولية الجريمة النكراء التي أودت بفلسطين الحبيبة إلى الاغتصاب. وبشعبها إلى التشرد في الأرض، وترى من بقي منهم في فلسطين سيقتلون بالتتابع، بشكل فردي مرة، وبشكل جماعي مرة أخرى على مرأى ومسمع من العالم المادي.

والآن: ماذا يقول علماء الشرائع والقوانين، ودعاة الحق والعدل، ودعاة

حقوق الإنسان، عمّا يحدث في نهاية القرن العشرين من خراب للديار، وقتل لبني الإنسان من مختلف الأعمار والأجناس بسبب احتلال إسرائيل لمنطقة الجولان السورية، ومنطقة الجنوب في لبنان.

وإذاً: إذا كانت بداية السعادة بناء قصر عظيم، فنهايتها في شق القبر وتحت الأنقاض، وإذا كانت بداية السعادة في إدعاء المدنية والحضارة المادية. فنهايتها في تشريد الملايين في الأرض بلا مأوى.

يئن العالم اليوم في كثير من مناطقه، تحت سياط نوع جديد من الرق، وتكبله أنواع جديدة من القيود والشروط والاتفاقات التي تُمْلَى على الشعوب، فتقيد حريتهم. هذا النوع الجديد من الرق هو: الاستعمار بمفهومه الكامل ولا يزال الحق للقوة، والقوي يفترس الضعيف، حتى في هذه الأيام، والحكم الفصل لشريعة الغاب والتسلط والاستعمار. مما أدى إلى نتيجة سيئة جداً، لها أثر عميق في النفوس، إن استشرى في المستقبل فإن الأجناس البشرية تصبح في كراهية بعضها لبعض، ولم يعد هناك محبة ولا شعور متبادل بالإحترام، نظراً للتمايز العنصري فيما بين الناس. وانعدمت فيهم العواطف الإنسانية، وانفصمت فيهم العُرَى الجامعة، ولم يبق إلا علاقة المادة.

وهذا كله يدلنا على أن الحضارة المادية أصبحت خاوية من القيم الروحية والأخلاقية.

أ ـ انتقاد للحضارة الغربية المادية:

لقد انتقد الشاعر الهندي «طاغور» الحضارة المادية في العصر الحديث، لأنها أقامت صرح بنيانها على المادة والعلم المجرديْن من القيم الروحية. انتقدها

بكلمات أملاها على أحد تلاميذه قبل وفاته. ومما قاله:

« الإصلاح العملي والاجتماعي والاقتصادي قد يُهذب من أحكام الطبيعة، وقد يلطفها ويصقلها، ولكنه لن يجعل من الإنسان إلا حيواناً ممتازاً، ولن يرسم للفرد كوحدة مستقلة سبيلاً واضحاً إلى الكمال الروحي المنشود.

إذ الكمال الروحي لا يتقيد بالتقدم المادي، وإنما هو جوهر أبديّ كامن في نفوسنا سواء أكنا متأخرين في الرقي المادي أم متقدمين.

والواجب أن نبحث في أرواحنا ما استطعنا عن هذا الجوهر الأبدي. أن نبحث في مظاهرِه فينا، وعن قواه المشتركة بيننا وبين الآخرين وعلى قدر إحساسنا بهذه القوى يكون اتجاهنا نحو الكمال.

ولقد أدرك الكثيرون من قبلنا هذه الحقيقة، فكانوا أمثلة حية من الكمال الروحي، دون أن تكون لهم حضارة كحضارتنا ، وعلوم كعلومنا، ورقي كرقينا.

لقد تعهدوا بالملاحظة والتربية قواهم الأبدية، فازدهرت، وآتت أبرك الثمرات، ولكن ماهي تلك القوى الأبدية؟.

القوى الأبدية الفاضلة:

هي: الطيبة، والرحمة، والمحبة، والإيثار، والتضحية، وكل ما يجعلنا نحسُّ أننا في غير حاجة إلى الأنظمة والقوانين، كي نقر السلام في قلوبنا، والعدل والإخاء بيننا وبين الناس.

وعندي: أنه يجب أن تُدَرَّسَ للصبيان فوائدُ المحبةِ، بجانب فوائد الكهرباء، ومنافعُ الطيبةِ والرحمةِ، بجانب منافع الفحم والحديد، أي يجب

أن تقترن في نفوسهم العوطف الأبدية بالمعارف وتطبيقاتها العملية، وإلَّا جاءتْ هذه المعارف وتطبيقاتها بعكس الغرض المنشود منها، فاكتسحت العواطف، وردت الإنسان إلى وحشيته الأولى..

فبالعقل والروح، أي بالعلم وإصلاحاته المبتكرة، وبالنفس وفضائلها الأبدية، يستطيع الإنسان الجديد أن يبني في فرح واطمئنان حضارة المستقبل»(١).

وقال «طاغور» أيضاً:

«هذه وصيتي أعلنها في العالم، وأنا على أبواب الموت، ... يجب أن يتم الاندماج الأعظم قبل كل شيء. بين الإنسان وأخيه في ظل الرحمة والمحبة..»(٢).

ب: لا بد للغرب من عودة إلى حياة روحية:

لقد حدثنا التاريخ كثيراً عن الغرب، وعن أحواله المادية والروحية، وبين لنا الصراع الدامي بين الناحيتين. فقد عرف التاريخ قدّيسين ورهباناً احتذوا في حياتهم سيرة السيد المسيح عليه السلام، وسيرة جماعته الحواريين. وعرف أيضاً حياة الكفاح والنضال، والحروب الضارية. في معاركها الدامية بين أنصار المادة من جهة وأنصار الروح من جهة ثانية باسم السياسة تارة، وباسم الدين تارة أخرى، وفي كل مرة تكون الغلبة لأحد الفريقين. بالأَحْرَى فهو

---

(١)،(٢) نقلاً عن كتاب: «على أبواب الأبدية». تأليف الباحث الفرنسي: «جورج مجلوار» ترجم هذا الفصل الأديب: «إبراهيم المصري» ونشرته جريدة «أخبار اليوم» المصرية بتاريخ، ٢٧ يناير ١٩٥٣م. بتصرف بسيط.

نزاع قائم بين أصحاب السلطة الزمنية، وبين بابوات الكنيسة.

ولكن في القرن التاسع عشر الذي تغلبت فيه السلطة على الكنيسة، حاولت هذه السلطة أن تقضي على الحياة الروحية، باسم العلم الذي يحل -في نظرهم- محل الإيمان، فانقلبت عندهم أسس الحياة الأصلية، وتغيرت المفاهيم الخلقية، والمدارك النفسانية، وتدهورت دعائم الروح، فأصبحت الحياة عندهم أيضا علمانية ملحدة، فبقيت على هذه الشاكلة سنين طوالاً، إلى أن ظهرلها في النتيجة سوء رأيها، وأنها قد ضلت الحقيقة، وأخطأت الهدف، وفاتتها الغاية المرجوة.

ج - نداء العودة للروح وحياتها:

بعد أن شعر الغرب بالظمأ الروحي، وأن المادية المجردة من كل القيم الروحية قد أتعبته في السعي والكد، انطلقت في أوروبا وأمريكا صيحات مدوية، تنادي بالعودة إلى حياة روحية، يستقرون فيها بعد طول عهد من الإضطراب النفسي، واحتدام الصراع الفكري.

فما السبيل إلى ذلك؟ وأيَّ باب يطرقون؟

وإليك قارئي العزيز قصة امرأة أمريكية تدعى: «مدام بلافاتسكي»، كانت قد طرقت أبواب المذاهب الوثنية، تلتمس فيها الحياة الروحية، لعلها تطفئ ذلك الظمأ الروحي، والخواء النفسي الذي تعاني منه كل من أمريكا وأوروبا. ولعلها تمسك بطرف الحبل الذي يوصلها إلى مبتغاها في شاطئ السلامة والاستقرار، وحالها هذه كمن يلتمس النجاة بعود طافٍ ليس له قرار في لجة نهر عظيم، وهو يصارع موجاته خشية الغرق.

وتشبثت هذه المرأة الأمريكية بتعاليم البوذية والبرهمية، وشكلت مذهباً خاصاً سمته: «دين الحكمة»، استقت تعاليمه ومبادئه من «ثُيوزُو فِيَّة» الهند بصورة خاصة. ولم تمضِ فترة يسيرة إلا وتأسست لهذا المذهب الجديد جمعيات مختلفة في كل من أمريكا وأوربا. إن ملخص دين الحكمة هذا يدعو ـ كما يدَّعي أصحابه ـ إلى ما يلي:

١ ـ وحدة الحياة.

٢ ـ الإخاء الإنساني العام.

٣ ـ القيام برياضة روحية لبلوغ مرتبة «النِرْفَانَا» البوذية، ومعنى هذا الكلام: أن يصل معتنق هذا المذهب عن طريق هذه الرياضة الروحية إلى فصل تام بين الروح والتأثر بماديات الحياة، لكي تسمو روحه الطاهرة المقدسة ـ كما يدعي أصحاب هذا المذهب ـ فتصبح في درجة أنها قادرة على أن تتصل بالأرواح العليا.

ومن خلال مناقشتي لهذه الفكرة يتضح مما تقدم:

أن العالم اليوم في أمسّ الحاجة إلى حياة روحية صحيحة في أسسها وقواعدها، سليمة من كل شائبة، أو نقص أو عيب، نقية في جوهرها ومضمونها كالحجر الكريم، وتتجلى فيها السعادة النفسية في أجلى صورها.

نعم لقد رأينا إفلاس الحضارة المادية من كل القيم الروحية والأخلاقية، ورأينا كيف أنها شعرت أخيراً بالحاجة الملحة إلى التذوق الروحي، ولا يمكنها في الحقيقة والواقع أن يحصل لها ذلك، ولا أن تصل إلى غاياتها، إلا بعد أن تتزود من معارفها وثقافتها الحقة. ورأينا كيف أن امرأة قادت حركة اللجوء

إلى المذاهب، وإن كانت وثنية خرافية متزمتة، قائمة على تعذيب الجسد بالألم والحرمان.

لابد هنا ـ عزيزي القارئ ـ من سلوك السبيل السوي، والطريق الواضح والصحيح، من أجل الوصول إلى هذه السعادة الروحية والنفسية.

وهنا أيضاً تظهر مهمة الدين الصحيح، والعقيدة الراسخة ليلعب الدين دوره الفعال في حياة الأفراد والجماعات، إذا ما أدى الدين مهمته كاملة غير منقوصة، وإذا ماقام دعاة الدين وناشرو تعاليمه ومبادئه للناس خير قيام، إذا أدى العلماء الفقهاء المخلصون واجبهم في هذه الحياة، وأظهروا للناس فضائل الدين وصفاته وفوائده ومميزاته، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده: بالكلمة الصحيحة، واللسان الصادق، والقلم المعبّر. واستخدموا في هذا العصر كل وسائل الإعلام الحديثة، ودخلوا عن طريقها إلى كل بيت، يفتحون بنور الهداية والإيمان عيوناً قد أصابها العمى، ويُسمعون بصوت الحق آذاناً ملئت وقراً، ويوقظون قلوباً كادت أن تموت أدبياً، وينوِّرون عقولاً أصابتها عدوى الجاهلية. يقول الله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(١).

(١) سورة: آل عمران. الآية رقم: / ١٠٤ /.

٢ ـ مهمة الدين

تتجلى مهمة الدين الأساسية في هذه الحياة بما يلي:

١ ـ إن الدين يرسم للإنسان الطريق الصحيح الذي يسير عليه في هذه الحياة الدنيا، ليحيا بسعادة في كل أدوار حياته:

أ ـ في الماضي الذي عاشه.

ب ـ والحاضر الذي يحياه اليوم.

جـ ـ وفي المستقبل المرتقب، حتى يسير فيه على هدىً وبصيرة من ربه.

٢ ـ والدين يقدم للإنسان تعاليمه الصحيحة، وإرشاداته القيمة.

٣ ـ ويأمره بالتفكير الصحيح في آلاء الله.

لقد أجمع فقهاء الشريعة وعلماء المسلمين على أن التفكير في آلاء الله بشكل صحيح يوصل الإنسان المفكر إلى نتيجة طيبة ومرضية، وأن خالق هذا الكون ومبدعه هو إله قادر، واحد أحد، فرد صمد، لا شريك له في ملكه، هذا الصَّانع القدير إنما هو الله تعالى رب العالمين.

إذاً: فهذا التفكير الصحيح في آلاء الله من وجهة نظر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يعطينا النتيجة الصحيحة والسليمة، ألا وهي: عقيدة التوحيد الخالص لله، التي هي المنطلق الأول في سير الإنسان المؤمن في هذه الحياة، وهي اللبنة الأولى في كيان ديننا الحنيف، دين الإسلام. تصور معي ـ أيها القارئ الكريم ـ هذه الحرية الفكرية الموجهة، التي أطلق الدين فيها عقل الإنسان وتصوره، لينظر بعين البصر والبصيرة في جميل صنع الله في هذا الكون، وبديع إحكامه له، وكيف انتظمت هذه الحياة، التي يعيش فيها هذا الإنسان، ليهتدي في النهاية إلى الإثبات والإعتراف، عن قناعة وحرية ورضىً قائم على الدليل: أن الله تعالى واحد موجود.

يقول أستاذنا المفضال الشيخ محمد المبارك[1]، في كتابه : «نحو إنسانية سعيدة»[1]، وتحت عنوان : «من الكون إلى الله» ما نصه:

«كلما ارتقى الإنسان بتفكيره من محيطه الضيق، إلى محيط أوسع. فمن التفكير في نفسه إلى أسرته إلى بلده وجماعته وقومه وأمته، إلى الإنسانية في ماضيها ومستقبلها. ثم إلى النظرة في أرجاء الكون الفسيح الذي لا تعرف له نهاية.

أفلا ينبغي أن يواصل تفكيرنا مسيره حتى يصل إلى ماوراء هذا الكون، وإلى التفكير ... في خالقه، وكأن تَفَتُّحَ الفكر والقلب للتفكير في الله. يمنع الإنسان من أن يتصرف في مشاغله الفردية أو الاجتماعية أو القومية، مع أن هذا التفكير في الإله الخالق، يبعث على التفكير في القضايا الأخرى، ويحثه ويدفعه في كل المجالات إلى أهداف الخير.»[2].

وأنا أرى: أن حاصل هذا التوجيه الفكري والمنطقي المعقول للإنسان، الذي يأخذه العجب العجاب بجميل صنع الله في هذا الكون، وَيُفْتَنُ بجمال الطبيعة الغناء الذي يجمع على الإنسان شغاف قلبه، أنه يقف به طائر الفكر المتزن، والخيال المنطلق، ويحط في ساحة الإعتراف لإعلان التصديق والإذعان لقدرة الخالق المبدع المصور، فيصل إلى درجة عظيمة من السمو الفكري، وينطلق من نقطة البدء، نقطة الضمير والفكر والقلب، ليسير في درب الهدى والنور، في طريق الله المستقيم، طريق الوصول إلى الله العلي الكبير. يتدرج في هذا المرتقى خطوة فخطوة، لأَن الدين الصحيح القائم على عقيدة التوحيد

---

(١) الشيخ محمد المبارك كان عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق في الستينات. وهو الآن في ذمَّة الله ـ عليه رحمة الله ـ والمؤلف: قد تتلمذ عليه في كلية الشريعة عندما كان في الصف الأول لعام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م وإلى نهاية سنة التخرج عام ١٩٦٣ م.

(٢) (نحو إنسانية سعيدة). محمد المبارك . ص: / ٢١ ـ ٢٢ /.

الخالص لله هو الذي لقن الإنسانَ فكرةَ الروح ومعانيها، وهو الذي هيأ له الجوَّ الروحي، الذي ينبغي أن يعيش متمتعاً بثقافة روحية واسعة، كما لقنه أيضاً بطلانَ الظن في الإعتماد على الظواهر المادية وحدها، وعلمه كيف يفرق بين العقل المادي المجرد، وبين الثقافة الروحية.

والدليل:

إن للإسلام من المزايا الكثيرة ما يجعل أي مفكر منصف ، أو مصلح قدير، أو عالم فقيه، أو شاعر وأديب، يعتبره مصدراً وفيراً، وقوة فعالة دافعة، في توجيه الناس نحو الخير والعمل الصالح البنّاء، في هذه الحياة.

والحقيقة الثابتة التي يتفق عليها جميع العقلاء: أن العالم في هذا العصر محتاج إلى ما يغير من أوضاعه المادية في حياته الحاضرة، ويزيل عنها كل ما علق بها من شوائب الضلال، وقسوة التعامل، ويبدلها بصفاء ونقاء ومحبة وتعاون وتضحية وإيثار. لابد للعالم اليوم من منقذ كفء جدير بمقدرته وعلومه وتعاليمه ومبادئه وحركته وحيويته وملاءمته لكل المطالب الحقة في الحياة. هذا المنقذ إنما هو: الإسلام.

والسبب في ذلك: أنه ثبت عملياً، والتاريخ قد سجل، والمؤرخون يشهدون أن الإسلام هو الذي استطاع أن يأخذ بيد الإنسان، وينهضه من كبوته في الماضي، وينقذه من الحضيض المادي الفاسد، ويرتفع به إلى المستوى الخلقي المثالي، ويخلصه من رق المادة وعبودية الإشراك بالله، ويحرره من سيرة العبد والسيد، ويجعله حراً سيد نفسه، وقد أمّن له حرية التدين والعقيدة السليمة، وزوده بالثقافة الروحية، وملأ قلبه وعقله وضميره بحلاوة الإسلام والإيمان والقرآن.

الأمور التي يحتاجها الإسلام:

ويرى الفيلسوف، والشاعر المسلم (محمد إقبال): « أن الإسلام يحتاج اليوم إلى أمور ثلاثة، هي:

١ ـ تأويل الكون تأويلا روحياً.

٢ ـ تحرير روح الفرد.

٣ ـ وضع مبادئ أساسية ذات أهمية عالمية في توجيه تطور المجتمع الإنساني على أساس زوحي. ويرى أيضاً: أن الأساس الروحي للحياة عند المسلم هو: إيمان يستطيع أقلُّنا استنارة أن يسترخص الحياة في سبيله»[١].

(١) (تجديد الفكر الديني في الإسلام). إقبال: ص / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ /.

obeikandl.com

٣ ـ الحياة الروحية عند مختلف المذاهب والأديان السماوية

مقارنة بين أصحاب المذاهب المادية، وبين أصحاب المذاهب الفلسفية حول النظام الروحي:

آ ـ أصحاب المذاهب المادية:

يرى هؤلاء أن الروح والجسد يتعارضان في مصالحهما، وأن العقل والمادة المحرريْن من كل القيم الروحية هما الكفيلان بتنظيم العلاقات الدنيوية فيما بين الناس، لأنهما يوفران السعادة والبهجة الموجودة في اللذائذ والرغبات.

لذلك: آثروا السير وراء المادة، وتركوا جانب الروح الذي لا يُقِرُّونَهُ، فيئسوا عن مسايرة الركب الروحي منذ الخطوة الأولى.

لقد نشأت هذه المذاهب المادية منذ زمن بعيد جداً، تعلن للناس مبادئها على أنها تقوم على ما تكشفه العلوم من أسرار في قوى الكون الطبيعية، وأنها تقوم على تجريد العقل من كل علاقة مما له صلة بما وراء الطبيعة.

لهذا أكثر الماديون من إلقاء المحاضرات الفلسفية في ندواتهم وأنديتهم، ليدعموا أقوالهم في كل مرة، وطبعوا من أجل ذلك المؤلفات الوفيرة، ونشروها بين الناس، وفي كل مكان، ليصلوا إلى غايتهم التي يقصدون من وراء عملهم هذا، وهي: زعزعة العقيدة في نفوس المؤمنين.

المبادىء التي نادى بها الماديون:

وقد نتج عن هذا أمر خطير جداً، وهو: تدهور الآداب العامة، وضياعها، مما كان له أسوأ الأثر في تفكك عوامل الصلة الوثيقة في الأسرة والمجتمع.

لهذا يمكننا أن نلخص لك ـ أيها القارئ العزيز ـ أهم المبادئ التي نادى بها الماديون كما يلي:

١ـ إنهم لا يعتقدون أن لهذا الكون خالقاً صانعاً.

٢ ـ ويرون أن كل مافي هذا الوجود صادر عن المادة.

٣ ـ إن كل ما في الطبيعة نشأ بطريق الصدفة والاتفاق.

٤ ـ وإن كل مافي الطبيعة من نظام كامل وتناسق بديع، إنما هو نتيجة للتطور كما يزعمون.

٥ ـ وينكر الماديون الحياة الآخرة، ويرون أن لاحياة بعد هذه الحياة. وهم في هذا الرأي من الإنكار ليوم القيامة. يتفقون مع من كان يقول من المشركين العرب في الجاهلية. مثل قولهم. وقد قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ** ﴾(١). ومثلهم أيضاً مثل ذلك العربي المشرك في مكة، الذي كان أيضا ينكر مجيء يوم البعث والنشور، وينكر قدرة الله على إعادة الخلق في حياة ثانية. في يوم القيامة.

وفي هذا يذكر (ابن كثير) في تفسيره للآيات الأخيرة من سورة (يس): أن الرجل المكي المشرك المقصود به في هذه الحكاية هو «العَاصُ بن وائل» على رأي. أو هو: «أميَّةُ بن خلف» على رأي آخر للمفسرين.

وملخص القصة كما يلي: بينما كان النبي ﷺ في مكة جالساً في جملة من الناس، يحدثهم عن قدرة الله تعالى على الإحياء للموتى ثانية، في يوم

(١) سورة: الجاثية. الآية رقم: / ٢٤ /.

سيأتي هو: يوم القيامة، إذ يقوم الناس في ذلك اليوم من قبورهم، وسيجمعون في ساحة المحشر للحساب، فمن كان من الناس في حياته الدنيا مؤمناً بالله تعالى، يعبده ويطيعه ، ويتبع سنة نبيه، ويعمل الصالحات، فسينال الأجر والثواب، ويرحمه الله، ويدخله في الجنة.

ومن كان من الناس في حياته الدنيا كافراً مشركاً، يعمل السيئات، فسيحل عليه الإثم والعقاب، ويدخله الله في النار.

في تلك الساعة جاء ذلك المشرك الكافر يحمل بيده عظم مَيِّتٍ فاقترب من مجلس النبي، فأخذ يَفُتُّ العظم الذي بيده، ويرمي ما تكسر بيده من العظم على الأرض، فيقول مخاطباً النبي ﷺ بكل صَلَفٍ وتحدٍ واستهزاء: «أتزعم يا محمد أن ربَّك يحيي هذه العظام بعد أن رَمَّتْ وبَلِيَتْ».

فأجابه النبي ﷺ على الفور قائلاً:

«نعم ، ثم يخزيك الله ويجعلك من أهل النار»(١).

فأنزل الله تعالى بذلك آيات بيِّنات. فتبارك الله إذ يقول في محكم تنزيله: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾(٢).

---

(١) حديث نبوي صحيح .

(٢) سورة: يس. الآيات: / ٧٧ ـ ٨٣ / .

٦ ـ ويقول الماديون إن الفكر والشعور والعواطف كانت نتيجة للمادة أيضاً، وهي إفرازات المخ، كما للكبد إفرازات الصفراء، وللْكِلْيَةِ إفراز البول. كل ذلك ليقولوا ما سيأتي في الفقرة السابعة التالية:

٧ ـ لاشيء هناك يسمى: (الروح)، ولامعنى إذاً لخلودها، وإنما القول بها وبخلودها ـ كما يدَّعون سَفَهَاً ـ إنما هو نسج من الوهم وشباك من الخيال.

ب ـ أصحاب المذاهب الوثنية:

تقوم فلسفة هؤلاء ـ بعكس الماديين ـ على التزام الجانب الروحي الصرف، والابتعاد عن الدنيا وشؤونها، ومتاعها وملذاتها، حتى ولو كانت مشروعة حلالاً.

لذلك فقد اختطوا لأنفسهم مناهج خاصة بهم. وساروا في مسالك وعرة جدا، وابتدعوا رياضياتٍ صعبةً، قائمةً في تعبدهم على تعذيب الجسم بالألم والحرمان من كل متع الحياة الحلال. وهذا ماعليه البوذيون في الصين، والبرهميون في الهند. حتى إن الرجل منهم لينام على لوح من الخشب بعد أن يثبت فيه المسامير المسنَّنة، لكي ينزف الدم من جسمه، فإذا به لشدة الضعف الذي يصيبه نتيجة هذا العمل كأنه: ميت يتحرك.

فمن المستحيل جداً أن يلتقي أصحاب النظرة المادية المتطرفة مع أصحاب النظرة الروحية الصرفة القائمة على تالية: (بوذا) و (براهما).

وكأنَّ هذا يعني: أن الفريقين يسيران في منحيين متعاكسين، وفي دائرتين متباعدتين لم تكن بينهما نقطة التقاء مشتركة أبداً.

وبعد هذا، نعمد إلى المقارنات بين نظرة الأديان السماوية الثلاثة، حسب تسلسل مجيئها تاريخاً: اليهودية والنصرانية. ثم الإسلام. من حيث النظرة المميزة لكل دين ورأيه في الحياة المادية والروحية.

أ ـ مقارنة بين اليهودية والنصرانية

ولنقارن هنا بين الديانتين اليهودية والمسيحية، بالنسبة لنظرة كل منهما إلى الحياتين: المادية والروحية. وذلك كما يلي:

أ ـ اليهودية:

إن الديانة اليهودية كانت وما زالت تغلب عليها النزعة المادية. ومن اليهود من يفهم أن هذه الحياة الدنيا هي غاية مايريده الإنسان.

ويعتقدون أن العقاب الذي هدد الله به العاصين والمذنبين، وأن الثواب الذي وعد الله به المؤمنين إنما يكونان في الدنيا، لا في الآخرة.

إن اليهودي يعتبر الدمَ في جسم الإنسان مثلاً هو: النَّفْسُ بعينها. فقد جاء في التوراة التي بين أيديهم مايلي: «ولا تأكلوا دمَ جسمٍ، لأن نَفْسَ كلِّ جسدٍ هي دَمُهُ».

إذن: لم يكن اليهود يعرفون (الروح) على أنها غير الجسد.

ولهذا جاء السيد المسيح عليه السلام بدعوته التي سنعرض لأهم مبادئها بإيجاز كما يلي:

ب ـ المسيحية: (النصرانية)

لقد كانت دعوة السيد المسيح عليه السلام قائمة على الاعتداد بالروح دون الجسد. فجاء مبشراً بحياة أخرى سعيدة، معلناً للناس أن تلك الحياة الآخرة هي: من أسمى الغايات وأجلها وأرفعها بالنسبة لهذا العالم. فقامت دعوة السيد المسيح الروحية على أهم مبادئها التالية، وهي:

١ ـ إنها دعوة تقوم على الزهد في هذه الحياة، والتقشف اللذين يخلِّصان الإنسان من علاقات الحياة الدنيا.

٢ ـ الأخذ من أسباب الحياة بأقل نصيب، ويرون في هذا الأخذ القليل فضيلةَ القناعة.

٣ ـ الإيمان بالله واليوم الآخر. واعتبار الحياة الآخرة هي: غاية الإنسان.

٤ ـ الدعوة إلى حياة روحية فاضلة بين الناس، في حياتهم الدنيوية.

٥ ـ القول بخلود الروح الإنسانية.

وبعد هذا العرض السريع لنظرة كل من المذاهب المادية المتطرفة، والمذاهب الوثنية الفلسفية، ثم نظرة اليهودية والنصرانية، للحياة الروحية، ووجوب صلتها بالإنسان أو عدمها لابد أخيراً من أن نتحدث عن نظرة الإسلامِ إلى هذه الحياة، التي يعمرها الإنسان، عندما نقارن بينه وبين النصرانية.

ولكن قبل الكلام عن هذا، يجدر بنا أن نعرض على بساط البحث والمناقشة: تهماً وشبهات يرمي بها غلاةُ النصرانية: الإسلامَ، متجردين عن تعاليم السيد المسيح، منسلخين من تسامح دعوته مفارقين (هم) بينها وبين الإسلام.

مع أن الأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والنصرانية ـ من حيث الأصل ـ والإسلام، لها جوهر أصلي واحد، تلتقي فيه هذه الأديان الثلاثة، على صعيد مشترك. ذلك الجوهر هو: عقيدة التوحيد الخالص لله، والإيمان به سبحانه وتعالى إلهاً واحداً لاشريك له. ومن خلال البحث الآتي يتبين للقارئ الكريم. نظرة الإسلام للحياة الروحية، وموقفه المعتدل بين المادة والروح.

ب ـ نظرة الإسلام للحياة الروحية وموقفه المعتدل بين المادة والروح

دحض شبهة:

يقول أعداء الإسلام: «إن الإسلام تنقصه الروحية، وإنه دين مادي».
ويقول آخرون عنه: «إن الإسلام نظام شرعي أكثر منه نظاماً أخلاقياً روحياً».

وهذا ما نقله لنا كل من: الدكتور عمر فَرُّوخ، والدكتور مصطفى الخالدي في كتابهما: «التبشير والاستعمار»[1] في الصفحة / ٣٨ / عن كتابين كتبا باللغة الإنكليزية وهما:

1 - The prosect of Islam, by Lourence. E. Brawn, "London 1944".

وترجمته: «مصطلح الإسلام» تأليف: لورانس. أ. براون. «لندن ١٩٤٤».

2 - Islam and Christianity, by Lootfy Levonian, London 1940"

وترجمته: «الإسلام والنصرانية». تأليف: لطفي ليفونيان. «لندن ١٩٤٠».

أقول ولا أرى في القول غضاضة: إنه من حقنا نحن شباب المسلمين أن نتصدى لهذين المؤلفين الجاهلين حقيقةَ الإسلام، أو المتجاهلين المتغاضين، ولأمثالهما من الحاقدين على الإسلام، كما تَصَدَّى لهما كاتبانا المسلمان، المومأ إليهما فيما تقدم. فقد قام كل من الدكتور «عمر فروخ»، والدكتور «مصطفى الخالدي» بواجبهما الديني والعملي، في الرد على افتراءات المفترين، ودَحَضَا كل الشبهات التي رمى بها أعداء الإسلام، ووصفوا بها ديننا الإسلامي الحنيف. فعملهما هذا إنما هو في واقع الأمر جهاد الفكر

---

(١) «التبشير والاستعمار» تأليف: الدكتور: عمر فَرُّوخ. والدكتور: مصطفى الخالدي ص: /٣٨/.

واللسان والقلم، وقد تسلحا بسلاح العقيدة مع الدليل والحجة والبرهان.

لذا ينبغي علينا أن نوضح حقيقة الصراع العنيف بين الروح والجسد، ذلك الصراع الذي يشعربه الإنسان، لنجلّي الشبهات بنور الحقائق الدامغة، التي هي بَعْضٌ من رصيد ثقافتنا الروحية والعلمية.

لأن هذا الزعم من أعداء الإسلام. هو طعن مفضوح في روحية ديننا، وعداء سافرله. لامراء في ذلك. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على الحقد البغيض الأسود على الإسلام. وتشويه لوجهه المشرق، فهناك اتصال بين الروح والجسد. وفي هذا الاتصال يحدث الصراع. ويبرز في هذا الميدان:

أ ـ العامل المادي: ومن ورائه الأهواء والشهوات، والملذات، والترف، والشرور. متمثلاً بالنفس الأمارة بالسوء.

ب ـ العامل الروحي: ومن ورائه التفكر والتأمل، والعلم والإرادة والحب...

ولكن العامل الروحي هو المعنيٌّ بالأمر، لأنه هو الذي يريد أن يصارع طغيان المادة، ويحطم عنفوانها. ويسعى إلى كبح جماح النفس، والحد من شرورها ، وذلك:

بالعمل على تهذيبها، وتربيتها حتى تتزكى وتسمو، لتصبح في النتيجة نفساً مطمئنة راضيةً مرضيةً قوية، بعد أن تتحرر من حكم غيرها عليها، وتخضع للروح.

يقول الدكتور : حسين هيكل:

« ولاتكون النفس قوية، إذا كانت في حكم غيرها، ولا تكون قوية إذاخضعت لحكم أهوائها وشهواتها.. والنفس إنما تخضع لحكم الأهواء والشهوات ، إذا تحكم الجسد في الروح، وغلبت الشهوةُ العقلَ. وأصبحنا

نقيم للحياة الخارجة عنَّا سلطاناً علينا نحن. على حين أنَّا في غنى عنها، وأنَّا أصحاب السلطان عليها».(١)

وأنا أرى: أن قسماً من الناس إذا ما تغلب العنصر المادي فيهم على العنصر الروحي وقعوا أسرى طغيان المادة، وعبيداً لأهوائهم وميولهم وشهواتهم وملذاتهم الجسدية، التي تنحدر بهم إلى مستوى الحيوانية. إذ تنحصر معارفهم، وتقف مداركهم. عند رغائب الحياة التي يعرفون عنها أكثر من فهم الحيوانات لها. على أنها أكل وشرب وغرائز، «بل وربما انحدروا إلى ماوراء الحيوانية المعتادة بما وهبوا من التفكير، فيكشفون أنواعاً من الشهوات لايصل إليها إلهام الحيوان»(٢).

وقسم ثانٍ من الناس، على عكس الأول، إذا ما تغلب العنصر الروحي فيه، والذي تتزكى من أجله النفس، وتسمو الروح، تجد الإنسان قد تخلص من الأزمات النفسانية، عندما جاهد نفسه، وروضها على حب الخير وفعله. وصفّى قلبه من الأحقاد والأدران البغيضة. وشُفِيَ من جميع العلل النفسية والأدواء القلبية.

تراه قد أصبح فرداً صالحاً، وعضواً نافعاً في مجتمعه الإنساني، بعد أن تحقق المعرفة القائمة على الإيمان بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر والملائكة. حتى أصبح أهلاً لأن يسير بقلبه وعقله وروحه في الطريق المستقيم، ليطرق باب القرب والقبول. والوصول إلى الله تعالى.

هذه هي اتجاهات الإسلام وروحه، التي نظر من خلالها نظرة عادلة متزنة، لكل من المادة والروح، ولكن بعد ذلك نتساءل ونقول:

---

(١) كتاب: «حياة محمد». تأليف: حسين هيكل، ص / ٢٣١ ـ ٢٣٢ / .

(٢) «روح الدين الإسلامي» تأليف: عفيف طبارة . ص / ١١٣ / .

ماهي أسباب العداء؟

لم تكن هناك أسباب جوهرية لوقوع مثل هذا العداء، من بعض الغلاة والحاقدين على الإسلام. ولم يكن اختلاف في أصل الدِّيْنِ، ولافي منشأهما. وما للإسلام من ذنب، إلا لأنه الدين الإسلامي الذي يتصف بالمزايا الكثيرة فما هي هذه المزايا يا تُرى؟ وهذه ما سنراها في البحث التالي:

obeikandl.com

جـ ـ بعض مزايا الإسلام

الإسلام دين ارتضاه الله عز وجل لنعتنقه منقادين لله، طائعين له، مستسلمين بمحض إرادتنا، وبكامل حريتنا، عن رضى وقناعة، لأنه الدين الذي يحقق للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة، والذي يحقق جميع مطالب الروح. كما يحقق جميع مطالب الجسد المشروعة. لذلك فهو دين يتميز بمزايا كثيرة. تتلاءم مع مقاصد الحياة وأهدافها، وهذه الميزات قد لا توجد في دين آخر غيره، وطبعاً لا يلحق به أي مذهب مادي أو فلسفي، مهما كان شأنه في الحياة.

لذلك لابد من ذكر بعضها:

١ ـ إنه دين يتميز بالمرونة، التي تجعله يتكيف في كل آن ومكان مع حاجات الإنسان الضرورية المشروعة.

٢ ـ يمتاز بالنمو المتزايد، والحركة المتواصلة، والانتشار المذهل السريع، بعد أن شَبَّ هذا الدين على أركانه الخمسة، في قوة وصلابة. فلمعت أنواره في القلوب والعقول. تضيء للعالمين دروب الحياة المظلمة. وتحطم القيود المادية. التي كَبَّلَتْ بني الإنسان حيناً من الدهر.

فانتشرت راياته خفاقة، تحمل للناس كافة بشائر الخلاص من الوثنية، وتطلق لهم حرية الرأي، وحرية العقيدة، وتحفظ لهم حرمةَ المال، وحرمة الدماء، وتحرم عليهم الجريمة، وفعل المنكرات، وتحرم عليهم الخبائث، ما ظهر منها وما بَطَنَ.

٣ ـ وحمل الإسلام للناس النور والعلم والهدى، ورسم لهم طريق الخير،

والفوز والنجاة من شرور النفس والمال، وطغيان المادة. وخلصهم من ويلات الترف والإسراف، وقادهم إلى المورد العذب، والمنهل الصافي، ليعُبوا شربةَ الارتواء، بعد ظمأٍ روحي شديد، في زمن كان الناس أحوج ما يكونون فيه إلى حياة روحية. في شعب الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، والذي تنزه عن الشريك والشبيه والمثال، في حظيرة الإسلام.

٤ ـ إنه كان ولا يزال أقوى على الدهر بناءً وكياناً، وأصلبَ عوداً من الزمان، وأرحبَ صدراً من المكان.

٥ ـ جمع أشتات البشرية المبعثرة، التي لا تلوي على شيء، ولا تهتدي إلى الصواب في سبيل واحدة، بيّنة المعالم، واضحة الأهداف، لتحظى بالنعيم الروحي المعتدل. كما حفظ للإنسان حظوظ حياته المشروعة، فلم يحرمه منها، ولم يحرّمها عليه. بل قرنها بنعيم الروح، ونعيم الآخرة. ومنّاه وأوفاه، ووعَدَه بأفضل منها وأحسن في الجنة يوم القيامة.

٦ ـ ورسم الإسلام للإنسان المنهج المتزن، الذي يسير عليه في تلبية مطالب الروح. كما يلبي مطالب الجسد.

هذه المعاني الجميلة، والميزات العظيمة. هي مما أوضحه لنا القرآن الكريم، وبلغنا إياه الرسول الأمين عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التسليم.

وبعد أن رأينا الأسباب البعيدة، وهي ما اتصف به الإسلام من مزايا، وأوردنا بعضاً منها كما تقدم. لابد بعد هذا، من أن نذكر الأسباب القريبة التي أثارت حفيظة قلوب أعداء الإسلام، حنقاً وغيظاً عليه. فأشعلوها حرباً كلامية دعائية، وتهماً وإشاعات باطلة ضد الإسلام.

يقول الدكتور حسين هيكل:

«هذه القوة التي انتشر الإسلام بها سرعان ما وقَّفَتْهُ وجهاً لوجه أمام المسيحية،وقفة نضال مستميت.

لقد تغلب «محمدٌ» على الوثنية، وَمَحَا من بلاد العرب، كما محا خلفاؤه الأولون من بلاد الفرس والأفغان، وطائفة كبيرة من بلاد الهند أثرَها. ولقد تغلب خلفاء «محمد» على المسيحية، في الحيرة، واليمن، والشام، ومصر، إلى مهد المسيحية مدينة قسطنطين...

واستمر القتال بين أتباع «عيسى»، وأتباع «محمد» قروناً متتالية. لم يقف القتال عند حرب الأسنة والمدافع، بل تعداها إلى ميادين الجدل والنضال الكلامي»[1].

نقطة الالتقاء بين الدِّينين:

وإذا كان الدينان ـ أي قبل تغيّر الدين المسيحي ـ يلتقيان في جوهر واحد، ألا وهو: الإيمان الكامل بالله الواحد الأحد، قال الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾[2]. ويجتمعان في صعيد مشترك من التوحيد الخالص.

فلماذا إذاً ابتعدت النصرانية مؤخراً عن الإسلام؟ وماهي أوجه الاختلاف

(١) كتاب (حياة محمد): حسين هيكل. المقدمة. ص / ٢ /.

(٢) سورة: مريم. الآيتان رقم: / ٣٥ـ٣٦ /.

التي دفعت حَمَلَةَ الصليب لمثل هذه التهجمات على الإسلام؟. فنقول:

الإسلام: يريدها عقيدة توحيدية، تدين بالربوبية والعبودية والوحدانية لله الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وأما:

النصرانية: فتريدها عقيدة الثالوث المقدس: الأب والابن والروح القدس. لذلك يلتمسون الأدلة والبراهين، لتأليه عيسى ـ كما يدَّعون ـ وهو الذي تكلم في المهد. وجرت على يديه معجزات نبوية، يعجز البشر عن الإتيان بمثلها. كما يؤلِّهون أمَّه مريمَ العذراء. إذن فالنصارى يعتقدون: أن الله ثَالثُ ثلاثَة(١). فتعالى الله عما يشركون. ﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾ (٢).

ومن هنا ثارت الثائرات من أن تعاليم الإسلام تقرر:

أنه لا يتم إيمان المرء حتى يُقِرَّ ويعترف بأن الله تعالى إنما هو إله واحد لا شريك له، ويؤمن مصدقاً بأن الرسالات السماوية إنما هي جميعاً من عند الله. وأن الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء ـ دون أن يصيبها أي تحريف أو تبديل ـ هي كتب الله المنزلة. وفيها أوامره سبحانه وتعالى، وفيها نواهيه. وأن يؤمن كذلك بصدق جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

لكن النصارى الذين لم يؤمنوا بنبوة محمد عليه الصلاة و السلام، ولابرسالته السامية، ولم يقف بعضهم عند هذا الحد،بل تعدوه إلى أبعد من ذلك. فداسوا أقدس القيم ونالوا بكلامهم أسمى الكمالات الخلقية والشخصية، فطعنوا رسولَ الله ﷺ بنعوت شتّى. بينما كان النبي الرسول محمد ﷺ يرفع من شأن أخيه في النبوة؛ ونقصد به النبي المسيح عليه

(١) وهذا من وجهة نظر العقيدة الإسلامية يعتبر إشراكاً بالله تعالى يعارض الوحدانية.

(٢) سورة: الإسراء. الآية رقم: /٤٣/.

الصلاة والسلام ويجلُّه ويحترمه ويصف أمه مريم العذراء البتول بالطهر والعفاف وكثرة التعبد لله فيقول نبينا محمد رسول الله ﷺ أيضا عن السيد المسيح عليه السلام:

«إنما هو ـ أي المسيح ـ عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»(١).

فشتان بين ما يعتقده المسلمون، وبين ما يعتقده النصارى. وفرق كبير بين رأي النصارى في شخصية (محمد) ﷺ، ورأي المسلمين في شخصية (عيسى ابن مريم) عليه السلام.

على أية حال: لقد ناصب النصارى الإسلامَ العداءَ، وأنكروا حقيقته، مع وضوح عقيدته المعقولة، وحجته المقبولة، وتأييد رسالته لرسالة السيد المسيح، وضرورة الإعتقاد ببراءة أمِّه العذراء الطاهرة البتول، ووصفها بأبلغ صفات العفاف والقداسة. والتَّبَتُّلِ في الطاعة والعبادة لله تعالى.

إن ما صدر من كثير من النصارى في عدائهم وتهجمهم على الإسلام، نعزوه إلى جهلهم بحقيقة الإسلام، وتمسكهم بتعصبهم الأعمى لدينهم.

فالجهل رأس كل مفسدة والتعصب الديني الأعمى هو أشدها بلاءً، وأقواها عناداً، وأعمقها أثراً في النفوس، التي تحتاج في كبح جماحها، وتحطيم عنفوان كبريائها إلى قوة روحية كبرى، ودواءٍ ناجعٍ يشفي عليل الصدور، وأمراض القلوب.

(١) حديث نبوي صحيح.

وأية قوة روحية أعظم مما في الإسلام؟

وأي دواء فيه شفاء لما في الصدور، وتطهير للقلوب، وتزكية للنفوس وتهذيب للطبائع والأخلاق، وإعلاء لشأن الروح أكثر مما في القرآن الكريم؟

دعوة القرآن الكريم لأهل الكتاب:

وبعد كل ما تقدم نرى ونسمع، ونصغي وندرك، ونفهم ونعلم أن القرآن الكريم قد نزل فيه أمر من الله تبارك وتعالى، يأمر فيه نبيه ورسوله محمداً ﷺ بأن يوجه دعوة للتقارب والعمل المشترك بين المسلمين وبين أهل الكتاب، وبكل صراحة. وفي منهجية واضحة متكاملة . ويقول له:

«قل يا أهل الكتاب تَعَالوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم:

- ألا نعبد إلا الله.
- ولا نشرك به شيئاً.
- ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.
- فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون»(١).

يقظة وفائدة:

ولكن من الذي يستفيد في النهاية؟

يقول المرحوم الشيخ حسن البنا: « وكما كان لذلك العدوان السياسي أثره في تنبيه المشاعر القومية، كان لهذا الطغيان الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية.

(١) سورة: آل عمران . الآية رقم : /٦٤/ .

فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام، وتَفَهُّمِ أحكامه، وتطبيق نظامه. ولابد أن يأتي قريباً ذلك اليوم الذي تَنْدَكُّ فيه صروح المدنية المادية على رؤوس أهلها. وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحي، تشتعل به قلوبهم وأرواحهم، ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء. إلا في تعاليم هذا الكتاب الكريم»[1].

حل المشكلة:

إن هذه المشكلة في حقيقتها صراع عنيف طويل الأمد، قوي التأثير، خطر النتيجة، بين الروح والجسد.

فجاء الإسلام ليحل المشكلة حلاً وسطاً. فيه كل التعقل والتدبر والحكمة، فجاء بقسمة العدل والحق التي تتطلبها الروح. ويتطلبها الجسد.

ويمكننا تلخيص ذلك بالنقاط التالية:

١ ـ فالإسلام لا يُحَرِّمُ على الإنسان التنعم بمتع الحياة الحلال، ولا يَحْرِمُهُ من الملذات المشروعة، مادامت في حدودها المعتدلة، ولم تخالف أحكام الدين. فالقرآن الكريم قد أمرنا بأن نسخر الدنيا وما جمعناه منها، من نعم وخيرات في سبيل الوصول إلى حيازة الفوز والنجاة في الحياة الآخرة.

٢ ـ لقد أباح الإسلام التجمل بأنواع الزينة، والتوسع في المشتهيات المشروعة، والتمتع بها بشرط الإعتدال والإنصاف في كل شيء أيضاً. يقول الله تبارك وتعالى:

---

(١) «بين الأمس واليوم» حسن البنا. ص / ٢٤ / .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

ويصف الله عز وجل المؤمنين من ذوي الغنى واليسار، أن المال الذي بين أيديهم يجب أن لا يلهيهم عن ذكر الله وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. فقال تعالى:

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾(٢).

وفي وجوب الإعتدال في جمع المال وإنفاقه، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾(٣).

٣ ـ ودل الله المؤمنين على مايجب أن يكون عليه دعاؤهم من الجمع بين مطالب الدنيا، ومطالب الآخرة. فقال عز من قائل:

(١) سورة: الأعراف. الآيات رقم: / ٣١ ـ ٣٢ /.

(٢) سورة: النور. الآية / ٣٧ /.

(٣) سورة: الإسراء ـ الآيات / ٢٦ ـ ٣٠ /

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(١).

٤ ـ ويأمرنا سبحانه وتعالى باختيار الطيبات من الرزق ، فيقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٢).

وقال وهو أصدق القائلين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة: البقرة. الآيتان / ٢٠١-٢٠٢/ .

(٢) سورة : البقرة . الآية / ١٧٢ / .

(٣) سورة: المائدة . الآيتان / ٨٧-٨٨ / .